

فمرفونى «إلى غير ذلك، وهو مشكل لأن الخفاء أمر نسبي فلا بد فيه من مخفى ومخفى عنه فحيث لم يكن خلق لم يكن مخفى عنه فلا يتحقق الخفاء، وأجيب أولاً بأن الخفاء عن الأعيان الثابتة لأن الأشياء في ثبوتها لا إدراك لها وجودياً فكان الله سبحانه مخفياً عنها غير معروف لها معرفة وجودية - فأحب أن يعرف مرفة حادثة من موجود حادث - فخلق الخلق لأن معرفتهم الوجودية فرع وجودهم فتعرف سبحانه إليهم بأنواع التجليات على حسب تفاوت الاستعدادات فعرفوا أنفسهم بالتجليات فعرفوا الله تعالى من ذلك فيه سبحانه عرفوه، وثانياً بأن المراد بالخفاء لازمه وهو عدم معرفة أحد به جل وعلا، ويؤيده ما في لفظ السخاوى من قوله: لا أعرف بديل مخفياً، وثالثاً بأن مخفياً بمعنى ظاهراً من أخفاه أى أظهره على أن الهمزة للازالة أى أزال خفاه، وترتيب قوله سبحانه: « فأحببت أن أعرف » النخ عليه باعتبار أن الظهور متى كان قوياً أوجب الجهالة بحال الظاهر فخلق سبحانه الخلق ليكونوا كالحجاب فيتمكن معه من المعرفة، ألا يرى أن الشمس لشدة ظهورها لا تستطيع أكثر الابصار الوقوف على حالها إلا بواسطة وضع بعض الحجب بينها وبينها وهو كما ترى لا يخلو عن بحث، وأما إطلاق الكنز عليه عز وجل فقد ورد، روى الديلمى في مسنده عن أنس مرفوعاً كنز المؤمن ربه أى فان منه سبحانه كل ما يناله من أمر نفيس في الدارين، والشيخ محي الدين قدس سره ذكر في معنى - الكنز - غير ذلك فقال في الباب الثلاثمائة والثمانية والخمسين من فتوحاته: لولم يكن في العالم من هو على صورة الحق ما حصل المقصود من العلم بالحق أعنى العلم بالحادث في قوله: « كنت كنزاً » النخ فجعل نفسه كنزاً، والكنز لا يكون إلا مكتنزاً في شئ فلم يكن كنز الحق نفسه إلا في صورة الانسان الكامل في شئ ثبوته هناك كان الحق مكتنوزاً فلما لبس الحق الانسان ثوب شئية الوجود ظهر الكنز بظهوره فعرفه الانسان الكامل بوجوده وعلم أنه سبحانه كان مكتنوزاً فيه في شئية ثبوته وهو لا يشعر به انتهى، وهو منطق الطير الذى لا نعرفه نسأل الله تعالى التوفيق لما يحب ويرضى بمنه وكرمه.

﴿ سورة الطور ﴾

﴿ مكية ﴾ ياروى عن ابن عباس . وابن الزبير رضى الله تعالى عنهم ولم تنقف على استثناء شئ منها، وهى تسع وأربعون آية في الكوفى والشامى، وثمان وأربعون فى البصرى، وسبع وأربعون فى الحجازى، ومناسبة أولها لآخر ما قبلها اشتمال كل على الوعيد، وقال الجلال السيوطى: وجه وضعها بعد الذاريات تشابههما فى المطلع والمقطع فان فى مطلع كل منهما صفة حال المتقين، وفى مقطع كل منهما صفة حال الكفار، ولا يخفى ما بين السورتين الكريمتين من الاشتراك فى غير ذلك.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالطُّور ١ ﴾ الطور اسم لكل جبل على ما قيل: فى اللغة العربية عند الجمهور، وفى اللغة السريانية عند بعض، ورواه ابن المنذر . وابن جرير عن مجاهد، والمراد به هنا (طور سينين) الذى كلم الله تعالى موسى عليه السلام عنده، ويقال له: طور سيناء أيضاً، والمعروف اليوم بذلك ما هو بقرب التيه بين مصر والعقبة، وقال أبو حيان فى تفسير سورة (والتين): لم يختلف فى طور سيناء أنه جبل بالشام وهو الذى كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام، وقال فى تفسيره: هذه السورة فى الشام جبل يسمى الطور وهو طور سيناء فقال نوف البكالى: إنه الذى أقسم الله سبحانه به لفضله على الجبال، قيل: وهو الذى كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام انتهى فلا تغفل، وحكى الراغب أنه جبل محيط بالارض ولا يصح عندى، وقيل: جبل من جبال

الجنة، وروى فيه ابن مردويه عن أبي هريرة، وعن كثير بن عبد الله حديثاً مرفوعاً ولا أظن صحته، واستظهر أبو حيان أن المراد الجنس لا جبل معين، وروى ذلك عن مجاهد. والكلي، والذي أعول عليه ما قدمته.

﴿ وَكُتِبَ مَسْطُور ٢ ﴾ مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة، والمراد به على ما قال الفراء الكتاب الذي يكتب فيه الاعمال ويعطاه العبد يوم القيامة يمينه أو بشماله وهو المذكور في قوله تعالى: (ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً)، وقال الكلبي: هو التوراة، وقيل: هي والانجيل. والزبور وقيل: القرآن، وقيل: اللوح المحفوظ، وفي البحر لا ينبغي أن يحمل شيء من هذه الاقوال على التعيين وإنما تورد على الاحتمال، والتشكيك قيل: للافراد نوعاً، وذلك على القول بتعددته، أو للافراد شخصاً، وذلك على القول بالمقابل، وفائدته الدلالة على اختصاصه من جنس الكتب بأمر يتميز به عن سائرهما، والاولى على وجهي التشكيك إذا حمل على أحد الكتابين أعنى القرآن والتوراة أن يكون من باب (ليجزي قوما) ففي التشكيك كمال التعريف، والتنبية على أن ذلك الكتاب لا ينبغي نكر أو عرف، ومن هذا القبيل التشكيك في قوله تعالى:

﴿ فِي رَقٍّ مَّنْشُور ٣ ﴾ والرق بالفتح ويكسر، وبه قرأ أبو السمال جلد رقيق يكتب فيه وجمعه رقوق وأصله على ما في مجمع البيان من اللعنان يقال: ترقق الشيء إذا لمع. أو من الرقة ضد الصفاقة على ما قيل، وقد تجوز فيه عما يكتب فيه الكتاب من ألواح وغيرها. والمنشور المبسوط والوصف به قيل: للإشارة إلى صحة الكتاب وسلامته من الخطأ حيث جعل معرضاً لنظر كل ناظر آتياً عليه من الاعتراض لسلامته عما يوجب، وقيل: هو لبيان حاله التي تضمنتها الآية المذكورة آنفاً بناءً على أن المراد به صحائف الأعمال وليبان أنه ظاهر للملائكة عليهم السلام يرجعون إليه بسهولة في أهولهم بناءً على أنه اللوح، أو للناس لا يمنعهم مانع عن مطالعته والاهتداء بهديه بناءً على الأقوال الأخرى، وفي البحر (منشور) منسوخ ما بين المشرق والمغرب ﴿ وَالْبَيْتُ الْمَعْمُور ٤ ﴾ هو بيت في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة كما أخرج ذلك ابن جرير. وابن المنذر. والحاكم وصححه. وابن مردويه. والبيهقي في الشعب عن أنس مرفوعاً *

وأخرج عبد الرزاق. وجماعة عن أبي الطفيل أن ابن السكواء سأل علياً كرم الله تعالى وجهه فقال: ذلك الضَّرَاحُ بيت فوق سبع سموات تحت العرش يدخله كل يوم سبعون ألف ملك الخ، وجاء في رواية عنه كرم الله تعالى وجهه، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه حيال الكعبة بحيث لو سقط سقط عليها *

وروى عن مجاهد. وقتادة. وابن زيد أن في كل سماء بحيال الكعبة بيتاً حرمة كرمته وعمارته بكثرة الواردين عليه من الملائكة عليهم السلام كما سمعت، وقال الحسن: هو الكعبة يعمره الله تعالى كل سنة بستائة ألف من الناس فان نقصوا أتم سبحانه العدد من الملائكة، وأنت تعلم أن من الحجاز المشهور - مكان معمور - بمعنى مأهول مسكون تحل الناس في محل هو فيه، فعمارة الكعبة بالمجاورين عندها وبحجاجها صاح خبر الحسن المذكور

أم لا ﴿ وَالسَّقْفُ الْمَرْفُوع ٥ ﴾ أي السماء كما رواه جماعة، وصححه الحاكم عن الأمير كرم الله تعالى وجهه، وعن ابن عباس هو العرش وهو سقف الجنة، وأخرجه أبو الشيخ عن الربيع بن أنس، وعليه لا بأس في تفسير البيت المعمور بالسماء كما روى عن مجاهد، وعمارتها بالملائكة أيضاً فما فيها موضع إهاب إلا وعليه ملك ساجد

أوقائم ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ ٦﴾ أى الموقد ناراً.

أخرج ابن جرير : وابن المنذر . وابن أبى حاتم . وأبو الشيخ فى العظمة عن سعيد بن المسيب قال : قال على كرم الله تعالى وجهه لرجل من اليهود : أين موضع النار فى كتابكم ؟ قال : البحر فقال كرم الله تعالى وجهه : ما أراه إلا صادقا ، وقرأ (والبحر المسجور) (وإذا البحار سجرت) وبذلك قال مجاهد . وشمر بن عطية . والضحاك . ومحمد بن كعب . والأخفش ، وقال قتادة : المسجور المملوء يقال : سجره أى ملاءه ، والمراد به عند جمع البحر المحيط ، وقيل : بحر فى السماء تحت العرش ، وأخرج ذلك ابن أبى حاتم وغيره عن على كرم الله تعالى وجهه ، وابن جرير عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، وفى البحر إنهما قالاً فيه ماء غليظ ، ويقال له : بحر الحياة يطر العباد منه بعد النفخة الأولى أربعين صباحا فينبئون فى قبورهم ، وأخرج أبو الشيخ عن الربيع أنه الملاء الأعلى الذى تحت العرش وكأنه أراد به الفضاء الواسع المملوء ملائكة ، وعن ابن عباس (المسجور) الذى ذهب مأؤه ، وروى ذو الرمة الشاعر ، وليس له كما قيل حديث غير هذا عن الخبر قال : خرجت أمة لتستقى فقالت : إن الحوض مسجور أى فارغ فيكون من الاضداد ، وحمل كلامه رضى الله تعالى عنه على إرادة البحر المعروف ، وأن ذهاب مأئه يوم القيامة ، وفى رواية عنه أنه فسر به المحبوس ، ومنه ساجور الكلب وهى القلادة التى تمسكه وكأنه عنى المحبوس من أن يفيض فيغرق جميع الارض ، أو يفيض فتبقى الارض خالية منه ، وقيل : (المسجور) المختلط ، وهو نحو قولهم للخليل المخاط : سجير ، وجعله الراغب من سجرت التنوير لأنه سجير فى مودة صاحبه ، والمراد بهذا الاختلاط تلاقى البحار بمياهها واختلاط بعضها ببعض ، وعن الربيع اختلاط عذبا بملحها ، وقيل : اختلاطها بحيوانات الماء ، وقيل : المفجور أخذاً من قوله تعالى : (وإذا البحار فجرت) ويحتمله ما أخرجه ابن المنذر عن ابن عباس من تفسيره بالمرسل ، وإذا اعتبر هذا مع ما تقدم عنه آتفاً من تفسيره بالمحبوس يكون من الاضداد أيضاً ، وقال منبه بن سعيد : هو جهنم سميت بحراً لسعتها وتموجها ، والجمهور على أن المراد به بحر الدنيا - وبه أقول - وبأن المسجور بمعنى الموقد ، ووجه التناسب بين القرائن بعد تعيين ماسبق له الكلام لائح ، وهو ههنا إثبات تأكيد عذاب الآخرة وتحقيق كينونته ووقوعه ، فأقسم سبحانه له بأمور كلها دالة على كمال قدرته عز وجل مع كونها متعلقة بالمبدأ والمعاد ، فالطور لأنه محل مكاملة موسى عليه السلام ، ومهبط آيات البدء والمعاد يناسب حديث إثبات المعاد وكتاب الاعمال كذلك مع الايمان إلى أن إيقاع العذاب عدل منه تعالى فقد تحقق ، ودون فى (الكتاب) ما يجر اليه قبل ، (والبيت المعمور) لأنه مطاف الرسل السماوية ، ومظهر لعظمته تعالى ، ومحل لتقديسهم وتسبيحهم إياه جل وعلا ، (والسقف المرفوع) لأنه مستقرهم ومنه تنزل الآيات ، وفيه الجنة : (والبحر المسجور) لأنه محل النار ، وإذا حمل الكتاب على التوراة كان التناسب مع ما قبله حسب النظر الجليل أظهر ولم يحمله عليها كثير لزعم أن - الرق المنشور - لا يناسبها لأنها كانت فى الألواح ، ولا يخفى عليك أن شيوع الرق فيما يكتب فيه الكتاب مطلقاً يضعف هذا الزعم فى الجملة ، ثم إن المعروف أن التوراة لا يكتب باليهود اليوم إلا فى - رق - وكأنهم أخذوا ذلك من أسلافهم ، وقال الامام : يحتمل أن تكون الحكمة فى القسم - بالطور . والبيت المعمور . والبحر المسجور - أنها أماكن خلوة لثلاثة أنبياء مع ربهم سبحانه ، أما الطور فلموسى عليه السلام وقد خاطب عنده ربه عز وجل بما خاطب ، وأما البيت المعمور فلموسى عليه وسلم وقد قال عنده : « سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين لا أحصى

ثُمَّ أَمَّا عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَتَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ « : وَأَمَّا الْبَحْرُ فَلْيُونَسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ فِيهِ : (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) فَلشَرَفَهَا بِذَلِكَ أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا ، وَأَمَّا ذَكَرَ (الْكِتَابَ) فَلأنَّ الْإِنْيَاءَ كَانَ لَهُمْ فِي هَذِهِ الْأَمَّا كُنْ كَلَامَ وَالْكِتَابَ فِي الْكِتَابِ ، وَأَمَّا ذَكَرَ السَّقْفَ الْمَرْفُوعَ فَلْيَبْيَانِ رَفْعَةَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ لِيَعْلَمَ عَظَمَةُ شَأْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ ذَكَرَ وَجْهَ آخَرَ ، وَلَعَمْرِي إِنَّهُ لَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ فِيهِمَا ، وَالْوَاوُ الْأَوَّلِيُّ لِلْقَسَمِ وَمَا بَعْدَهَا عَلَى مَا قَالَ أَبُو حَيَّانَ لِلْعُطْفِ ، وَالْجُمْلَةُ الْمَقْسَمُ عَلَيْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْ قَعُ ۖ ﴾ أَيُّ لِسْكَائِنَ عَلَى شِدَّةٍ كَأَنَّهُ مَهْيَأٌ فِي مَكَانٍ مَرْتَفِعٍ فَيَقَعُ عَلَى مَنْ يَحِلُّ بِهِ مِنَ الْكُفَّارِ ؛ وَفِي إِضَافَتِهِ إِلَى الرَّبِّ مَعَ إِضَافَةِ الرَّبِّ إِلَى ضَمِيرِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَمَّا لَهُ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْعَذَابَ وَاقِعٌ بِمَنْ كَذَبَهُ ، وَقَرَأَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - وَاقِعٌ - بِدُونِ لَامٍ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ ۚ ﴾ ۸ خَبَرُ ثَانٍ - لَانٍ - أُرْصَفَةُ (لَوَاقِعُ) أَوْ هُوَ جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ ، وَ (مِنْ دَافِعٍ) إِمَّا مُبْتَدَأٌ لِلظَّرْفِ أَوْ مُرْتَفِعٌ بِهِ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ ، وَ (مِنْ) مُزِيدَةٌ لِلتَّأَكِيدِ وَلَا يَخْفَى مَا فِي الْكَلَامِ مِنْ تَأَكِيدِ الْحَكْمِ وَتَقْرِيرِهِ ؛ وَقَدْ رَوَى أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَرَأَ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَى هُنَا فَبَكَى ثُمَّ بَكَى حَتَّى عِيدَ مِنْ وَجَعِهِ وَكَانَ عَشْرِينَ يَوْمًا ، وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ . وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ . وَابْنُ سَعْدٍ عَنْ جَبْرِ بْنِ مَطْعَمٍ قَالَ : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَكَلِهِ فِي أُسَارَى بَدْرٍ فَدَفَعَتْ إِلَيْهِ وَهُوَ يَصْلِي بِأَحْبَابِهِ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ فَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ (وَالطُّورَ) إِلَى (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ) فَكَأَنَّمَا صَدَعَ قَلْبِي ، وَفِي رِوَايَةٍ فَأَسْلَمْتُ خَوْفًا مِنْ نَزُولِ الْعَذَابِ وَمَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ أَقْوَمَ مِنْ مَقَامِي حَتَّى يَقَعَ بِي الْعَذَابُ ، وَهُوَ لَا يَأْتِي أَنَّ يَكُونَ الْمُرَادُ الْوُقُوعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿ وَمِنْ غَرِيبٍ مَا يَحْكِي ﴾ أَنَّ شَخْصًا رَأَى مَكْتُوبًا فِي كَفِّهِ خَمْسَ وَائَاتٍ فَعَبَّرَتْ لَهُ بِخَيْرٍ فَسَأَلَ ابْنَ سِيرِينَ فَقَالَ : تَهَيَّأْ لِمَا لَا يَسِرُّ فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَيْنَ أَخَذْتَ هَذَا ؟ فَقَالَ : مِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : (وَالطُّورَ) إِلَى (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) فَمَا مَضَى يَوْمَانِ أَوْ ثَلَاثَةً حَتَّى أُحِيطَ بِذَلِكَ الشَّخْصِ ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۚ ﴾ ۹ مَنْصُوبٌ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ (١) وَنَاصِبُهُ (وَاقِعٌ) أَوْ (دَافِعٌ) أَوْ مَعْنَى النَّفْيِ وَإِيْهَامٌ أَنَّهُ لَا يَنْتَفِي دَفْعُهُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِنَاءً عَلَى اعْتِبَارِ الْمَفْهُومِ لِأَضْيَرِّ فِيهِ لَعْدَمُ مُخَالَفَتِهِ لِلْوَقْعِ لِأَنَّهُ تَعَالَى أَهْلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَمَا أَهْلُهُمْ ، وَمَنْعٌ مَكِّيٌّ أَنْ يَعْمَلَ فِيهِ - وَاقِعٌ - وَلَمْ يَذْكُرْ دَلِيلَ الْمَنْعِ وَلَا دَلِيلَ لَهُ فِيمَا يَظْهَرُ ، وَمَعْنَى (تَمُورُ) تَضْطَرُّبٌ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيُّ تَرْتَجُ وَهِيَ فِي مَكَانِهَا ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ تَشَقُّقٌ ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ : تَدُورُ ، وَأَصْلُ الْمَوَرِّ التَّرَدُّدُ فِي الْمَجْئِ وَالذَّهَابِ ، وَقِيلَ : التَّحَرُّكُ فِي تَمُوجٍ ، وَقِيلَ : الْجُرْيَانُ السَّرِيعُ ، وَيُقَالُ لِلْجُرْيِ مُطْلَقًا وَأُنْشِدُوا لِلْأَعَشَى

كَأَن مَشِيَّتَهَا مِنْ بَيْتٍ جَارَتَهَا (مَوْرًا سَحَابَةً لَا رِيثَ وَلَا عَجَلَ)

﴿ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا ۚ ﴾ ١٠ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ فَتَكُونُ هَبَاءً مُنْبَثًّا ، وَالْإِتْيَانُ بِالْمَصْدَرَيْنِ لِلْإِذْنَانِ بِغَرَابَتِهِمَا وَخُرُوجِهِمَا عَنْ الْحُدُودِ الْمَعْهُودَةِ أَيُّ مَوْرًا عَجِيبًا وَسِيرًا بَدِيعًا لَا يَدْرِكُ كُنْهُمَا ﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ ﴾ أَيُّ إِذَا وَقَعَ ذَلِكَ (٢) أَوْ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَا كَرَفَوِيلُ يَوْمَ إِذْ يَقَعُ ذَلِكَ ﴿ لِلْمُكَذِّبِينَ ۚ ۱١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۚ ﴾ ١٢ أَيُّ فِي انْدِفَاعٍ عَجِيبٍ فِي الْإِبَاطِيلِ وَالْكَاذِبِ يَلْعَبُونَ ، وَأَصْلُ الْخَوْضِ الْمَشْيُ فِي الْمَاءِ ثُمَّ تَجُوزُ فِيهِ عَنِ الشَّرْعِ

في كل شيء وغلب في الخوض في الباطل كالأحضار عام في كل شيء ثم غلب استعماله في الاحضار للعذاب *
 ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ١٣﴾ أى يدفعون دفعاً عنيفاً شديداً بأن تغل أيديهم إلى أعناقهم وتجمع
 نواصيهم إلى أقدامهم فيدفعون إلى النار ويطرحون فيها، وقرأ زيد بن علي، والسلي. وأبورجاء (يدعون)
 بسكون الدال وفتح العين من الدعاء فيكون (دعا) حالاً أى ينادون إليها مدعوعين (١) و (يوم) إما بدل
 من يوم (تمور) أو ظرف لقول مقدر محكى به قوله تعالى: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤﴾
 أى فيقال لهم ذلك (يوم) الخ، ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها، وقوله تعالى:

﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾ تويخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحراً كأنه قيل: كنتم تقولون للوحي الذى
 أنذركم بهذا سحراً أفهذا المصدق له سحر أيضاً وتقديم الخبر لأنه المقصود بالانكار والمدار للتويخ *

﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا بُصُورَ ١٥﴾ أى أم أنتم عمى عن الخبر به كما كنتم في الدنيا عمياعن الخبر والفاء مؤذنة بما ذكر وذلك
 لأنها لما كانت تقتضى معطوفاً عليه يصح ترتب الجملة أعنى سحر هذا عليه وكانت هذه جملة واردة تقرىعا مثل هذه
 النار الخ لم يكن بد من تقدير ذلك على وجه يصح الترتب ويكون مدلولاً عليه من السياق فقد كنتم تقولون
 إلى آخره، ودل عليه قوله تعالى: (في خوض يلعبون) وقوله سبحانه: (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) وفي الكشف
 إن هذا نظير ما تستدل بحجة فيقول الخصم: هذا باطل فتأتى بحجة أوضح من الأول مسكتة وتقول: أباطل
 هذا ١٤ تعيره بالالزام بأن مقالته الأولى كانت باطلة، وفي مثله جاز أن يقدر القول على معنى أفتقول باطل
 هذا وأن لا يقدر لا بتناؤه على كلام الخصم وهذا أبغ، و (أم) كما هو الظاهر منقطعة، وفي البحر لما قيل لهم: هذه
 النار وقفوا على الجهتين اللتين يمكن منهما دخول الشك في أنها النار وهى إما أن يكون شئ سحر يلبس ذات
 المرأى، وإما أن يكون في ناظر الناظر اختلال، والظاهر أنه جعل (أم) معادلة والأول أبعد مغزى *

﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ أى ادخلوها وقاسوا شدائد ما فعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه *
 ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ أى الامران سواء عليكم في عدم النفع إذ كل لا يدفع العذاب ولا يخففه - فسواء - خبر مبتدأ
 محذوف وصح الإخبار به عن المثنى لأنه مصدر فى الأصل، وجوز كونه مبتدأ محذوف الخبر وليس بذلك،
 وقوله تعالى: ﴿لَئِمَّا تَجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٦﴾ تعليل للاستواء فإن الجزاء حيث كان متحتم الوقوع
 لسبق الوعيد به وقضائه سبحانه إياه بمقتضى عدله كان الصبر وعدمه مستويين فى عدم النفع *

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ١٧﴾ شروع فى ذكر حال المؤمنين بعد ذكر حال الكافرين كما هو عادة القرآن
 الجليل فى الترهيب والترغيب، وجوز أن يكون من جملة المقول للكفار إذ ذاك زيادة فى غمهم وتنكيدهم والأول
 أظهر، والتنوين فى الموضعين للمعظم أى فى جنات عظيمة ونعيم عظيم، وجوز أن يكون للنوعية أى نوع من الجنات،
 ونوع من النعيم مخصوصين بهم وكونه عوضاً عن المضاف إليه أى جناتهم ونعيمهم ليس بالقوى - لا حتى -
 ﴿فَاكْهِنَ﴾ متلذذين ﴿بِمَاءٍ آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ من الاحسان، وقرئ - فكهين - بلا ألف، ونصبه فى التراءتين على الحال
 من الضمير المستتر فى الجار والمجرور أعنى فى جنات الواقع خبراً لأن، وقرأ خالد - فاكهون - بالرفع على أنه

الخبر ، وفي جنات متعلق به لكنه قدم عليه للاهتمام ، ومن أجاز تعدد الخبر أجاز أن يكون خبراً بعد خبر ﴿وَوَقَّاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ١٨﴾ عطف على (في جنات) على تقدير كونه خبراً كأنه قيل: استقروا (في جنات) (ووقاهم ربهم) الخ. أو على (أتاهم) إن جعلت (ما) مصدرية أي فأكفين يا تائبهم ربهم ووقاهم عذاب الجحيم ، ولم يجوز كثير عطفه عليه إن جعلت موصولة إذ يكون التقدير فأكفين بالذي وقاهم ربهم فلا يكون راجعاً إلى الموصول ، وجوز به بعض بتقدير الراجع أي وقاهم به على أن الباء للبابسة ، وفي الكشف لم يحمل على حذف الراجع لكثرة الحذف ولو درج لصاً ، والفعل من المتعدى إلى ثلاثة مفاعيل وهو مسموع عند بعضهم ، ولا يخفى أنه وجه سديد أيضاً ، والمعنى عليه أسد لأن الفكاهة تلذذ يشتغل به صاحبه والتلذذ بالآيات يحتمل التجدد باعتبار تعدد المؤتى إما بالوقاية أي على تقدير المصدرية فلا ، وأقول لعله هو المنساق إلى الذهن ، وجوز أن يكون حالاً بتقدير قد أو بدونه إما من المستكن في الخبر أو في الحال. وإمامنا فاعل آتى. أو من مفعوله. أو منهما ، وإظهار الرب في موقع الاضمار مضافاً إلى ضميرهم للتشريف والتعليل ، وقرأ أبو حيوة (وقاهم) بتشديد القاف ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ أي يقال لهم (كلوا واشربوا) أكلاً وشراباً هنيئاً ، أو طعاماً وشراباً هنيئاً ، فالكلام بتقدير القول ، و(هنيئاً) نصب على المصدرية لأنه صفة مصدر. أو على أنه مفعول به ، وأياً ما كان فقد تنازعه الفعلان ، والهني كل ما لا يلحق فيه مشقة ولا يعقب وخامة ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٩﴾ أي بسببه أو بمقابلته والباء عليهما متعلق - بكلوا واشربوا - على التنازع ، وجوز الزمخشري كونها زائدة وما بعدها فاعل هنيئاً كما في قول كثير :

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعزة من أعراضها ما استحلّت (١)

فإن ما فيه فاعل هنيئاً على أنه صفة في الاصل بمعنى المصدر المحذوف فعله وجوباً لكثرة الاستعمال كأنه قيل : هتو لعزة المستحل من أعراضها ، وحينئذ كما يجوز أن يجعل ما هنا فاعلاً على زيادة الباء على معنى هناكم ما كنتم تعملون يجوز أن يجعل الفاعل مضمرّاً راجعاً إلى الأكل أو الشرب المدلول عليه بفعله ، وفيه أن الزيادة في الفاعل لم تثبت سماعاً في السعة في غير فاعل كفي على خلاف ولا هي قياسية في مثل هذا ومع ذلك يحتاج الكلام إلى تقدير مضاف أي جزاء ما كنتم الخ ، وفيه نوع تكلف ﴿مُتَّكِنِينَ﴾ نصب على الحال قال أبو البقاء : من الضمير في (كلوا) أو في (وقاهم) أو في (أتاهم) أو في (فأكفين) أو في الظرف يعني في جنات ، واستظهر أبو حيان الأخير ﴿عَلَى سُرُرٍ﴾ جمع سرير معروف ، ويجمع على أسرة وهو من السرور إذ كان لأولى النعمة ، وتسمية سرير الميت به للتفاؤل بالسرور الذي يلحق الميت برجوعه إلى جوار الله تعالى وخلاصه من سجن الدنيا ، وقرأ أبو السمال سرر بفتح الراء وهي لغة لكلب في المضعف فراراً من توالى ضميتين مع التضعيف •

(١) هذا البيت من قصيدة مشهورة لكثير أولها

خليلي هذا ربيع عزة فاعقلا قلوبكما ثم احللا حيث حلت

قيل كان كثير في حلقة البصرة ينشد أشعاره فمرت به عزة مع زوجها فقال لها : أغضبيه فاستجبت من ذلك فقال لغضبيه أو لأضربك فذنت من الحلقة فأغضبه ، وذلك أن قالت : هذا وهذا بهم الشاعر فقال ذلك.

﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ مجموعة على صف وخط مستو ﴿وَزَوْجُهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ٢٠﴾ أى قرانهم بهن - قاله الراغب - ثم قال : ولم ينجح في القرآن زوجناهم حوراً كما يقال زوجته امرأة تنبها على أن ذلك لا يكون على حسب المتعارف فيما يفتن من المناكحة ، وقال الفراء : تزوجت بامرأة لغة أزد شنوءة ، والمشهور أن الزوج متعد إلى مفعول واحد بنفسه و التزويج متعد بنفسه إلى مفعولين ، وقيل : فيما هنا أن الباء لتضمين الفعل معنى القران أو الالتصاق ، واعتراض بأنه يقتضى معنى التزويج بالعقد وهو لا يناسب المقام إذ العقد لا يكون في الجنة لأنها ليست دار تكليف أو أنها للسبية والتزويج ليس بمعنى الانكاح بل بمعنى تصيرهم زوجين زوجين أى صيرناهم كذلك بسبب حور عِين ، وقرأ عكرمة بحور عِين على إضافة الموصوف إلى صفته بالتأويل المشهور ، وقوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخ كلام مستأنف مسوق لبيان حال طائفة من أهل الجنة إثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم ذريتهم في الايمان ، والموصول مبتدأ خبره ألحقنا بهم ، وقوله تعالى : ﴿وَاتَّبَعْتَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ عطف على آمنوا ، وقيل اعتراض للتعليل ، وقوله تعالى : ﴿بِإِيمَانٍ﴾ متعلق بالاتباع أى أتبعتهم ذريتهم بإيمان في الجملة قاصر عن رتبة إيمان الآباء إما بنفسه بناءً على تفاوت مراتب نفس الايمان ، وإما باعتبار عدم انضمام أعمال مثل أعمال الآباء اليه ، واعتبار هذا القيد للايدان بثبوت الحكم في الايمان الكامل أصالة لا إلحاقا قيل : هو حال من الذرية ، وقيل : من الضمير وتنوينه للتعظيم ، وقيل : منهما وتنوينه للتذكير والمفعول عليه ما قدمنا ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ في الدرجة . أخرج سعيد بن منصور . وهناد . وابن جرير . وابن المنذر . وابن أبي حاتم . والحاكم . والبيهقي في سننه عن ابن عباس قال : «إن الله تعالى ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ الآية » وأخرجه البزار . وابن مردويه عنه مرفوعا إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وفي رواية ابن مردويه . والطبراني عنه أنه قال : «إن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال له : إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك فيقول : يارب قد عملت لى ولهم فيؤمر بالحقهم به » وقرأ ابن عباس الآية ، وظاهر الاخبار أن المراد بالحقهم بهم إسكانهم معهم لا مجرد رفعتهم اليهم واتصالهم بهم أحيانا ولو للزيارة . وثبوت ذلك على العموم لا يبعد من فضل الله عز وجل ، وما قيل : لعله مخصوص ببعض دون بعض تحجير لإحسانه الواسع جل شأنه ، وقد يستأنس للتخصيص بما روى عن ابن عباس إن الذين آمنوا المهاجرون والانصار ، والذرية التابعون لكن لا أظن صحته ﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ﴾ أى وما نقصنا الآباء بهذا إلحاق ﴿مَنْ عَمَلَهُمْ﴾ أى من ثواب عملهم ﴿مَنْ شَاءَ﴾ أى شيئا بأن أعطينا بعض مثوباتهم أبناءهم فتقص مثوباتهم وتنحط درجاتهم وإتمام رفعتهم إلى منزلتهم بمحض التفضل والاحسان ، وقال ابن زيد - الضمير عائد على الآباء أى وما نقصنا الآباء الملحقين من جزاء عملهم الحسن والقيح شيئا بل فعلنا ذلك بهم بعد مجازاتهم بأعمالهم كملا - وليس بشئ وإن قال أبو حيان يحسن هذا الاحتمال قوله تعالى : (كل امرئ بما كسب رهين) وإلى الأول ذهب ابن عباس . وابن جبير . والجمهور . والآية على ما ذهب اليه المعظم في الكبار من الذرية ، وقال منذر بن سعيد : هي في الصغار وروى عن الخبر . والضحاك أنهما قالوا : إن الله تعالى يلحق الآباء الصغار وإن لم يبلغوا من الايمان بآبائهم

المؤمنين ، وجعل بإيمان عليه متعلقاً بالحقنا أى ألحقنا بسبب إيمان الآباء بهم ذريتهم الصغار الذين ماتوا ولم يبلغوا التكليف فهم في الجنة مع آبائهم قيل : و كأن من يقول بذلك يفسر (اتبعهم ذريتهم) بماتوا ودرجوا على أثرهم قبل أن يبلغوا الحلم ، وجوز أن يتعلق بإيمان باتبعهم على معنى اتبعوهم بهذا الوصف بأن حكم لهم به تبعاً لأبائهم فكانوا مؤمنين حكماً لصغرهم وإيمان آبائهم ، والصغير يحكم بإيمانه تبعاً لأحد أبويه المؤمن والسكل كما ترى ، وقيل : الموصول معطوف على حور ، والمعنى قرانهم بالحور وبالذين آمنوا أى بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور ؛ وأخرى بمؤانسة الاخوان المؤمنين ، وقوله تعالى : (واتبعهم) عطف على زوجاتهم ، وقوله سبحانه : بإيمان متعلق بما بعده أى بسبب إيمان عظيم رفيع المحل ، وهو إيمان الآباء ألحقنا بدرجاتهم ذريتهم وإن كانوا لا يستأهلونها تفضلاً عليهم وعلى آبائهم لستم سرورهم ويكمل نعيمهم ، أو بسبب إيمان داني المنزلة وهو إيمان الذرية كأنه قيل : بشئ من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء ألحقناهم بهم ، وصنيع الزمخشري ظاهر في اختيار العطف على حور فقد ذكره وجهاً أول ، وتعقبه أبو حيان بأنه لا يتخيل ذلك أحد غير هذا الرجل ، وهو تخيل أعجمي يخالف لفهم العربي القح كائن عباس . وغيره ، وقيل عليه : إنه تعصب منه ، والانصاف أن المتبادر الاستثاف ، وإن أحسن الأوجه في الآية وأوقفه للمقام ما تقدم .

وقرأ أبو عمرو (وأتبعناهم) بقطع الهزمة وقتحها ، وإسكان التاء ، ونون بعد العين وألف بعدها أى جعلناهم تابعين لهم في الايمان ، وقرأ أيضاً ذرياتهم جمعاً نصباً ، وابن عامر كذلك رفعاً ، وقرأ ذرياتهم بكسر الذا (واتبعهم ذريتهم) بناء الفاعل ، ونصب ذريتهم على المفعولية ، وقرأ الحسن . وابن كثير - ألتناهم - بكسر اللام من ألت يألت كعلم يعلم ، وعلى قراءة الجمهور من باب ضرب يضرب ، وابن هرمرز ألتناهم بالمد من ألت يؤولت ، وابن مسعود . وأنى ألتناهم من لات يليت وهي قراءة طلحة . والاعمش ، ورويت عن شبل . وابن كثير ، وعن طلحة . والاعمش أيضاً - ألتناهم - بفتح اللام ، قال سهل : لا يجوز فتح اللام من غير ألف بحال وأنكر أيضاً ألتناهم بالمد ، وقال لا يروى عن أحد ولا يدل عليه تفسير ولا عربية - وليس كما قال - بل نقل أهل اللغة ألت بالمد كما قرأ هرمرز ، وقرئ وما ألتناهم من وات يلت ، ومعنى السكل واحد ، وجاء ألت بمعنى غلظ يروى أن رجلاً قام إلى عمر رضى الله تعالى عنه فوعظه فقال :

لا تألت على أمير المؤمنين أى لا تغلظ عليه ﴿ كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ ﴾ أى بكسبه وعمله ﴿ رَهْنٌ ٢١ ﴾ أى مرهون عند الله كأن الكسب بمنزلة الدين ونفس العبد بمنزلة الرهن ولا ينفك الرهن مالم يؤد الدين فان كان العمل صالحاً فقد أدى لأن العمل الصالح يقبله ربه سبحانه ويصعد اليه عز وجل وإن كان غير ذلك فلا أداء فلا خلاص إذ لا يصعد اليه سبحانه غير الطيب ، ولذا قال جل وعلا : (كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين) فان المراد كل نفس رهن بكسبها عند الله تعالى غير مفكوك إلا أصحاب اليمين فانهم فكوا عنه رقابهم بما أطابوه من كسبهم *

ووجه الاتصال على هذا أنه سبحانه لما ذكر حال المتقين وأنه عز وجل وفر عليهم ما أعده لهم من الثواب والتفضل عقب بذلك الكلام ليدل على أنهم فكوا رقابهم وخلصوها وغيرهم بقى معذباً لأنه لم يفك رقبته ، وكان موضعه من حيث الظاهر أن يكون عقيب قوله تعالى : (هو البر الرحيم) ليكون كلاماً راجعاً إلى حال الفريقين - المدعوعين . والمتقين - وإنما جعل متخللاً بين أجزئة المتقين عقيب ذكر توفير ما أعد لهم ، قال في الكشف :

ليدل على أن الخلاص من بعض أجزيتهم أيضاً ويلزم أن عدم الخلاص جزاء المقابلين من طريق الإيحاء وموقعه وقع الاعتراض تحقيقاً لتوفير ماعدد لأنه إنما يكون بعد الخلاص ، وفيه إيحاء إلى أن إلحاق الأبناء إنما كان تفضلاً على الآباء لا على الأبناء ابتداءً لأن التفضل فرع الفك وهؤلاء هم الذين فكوا فاستحقوا التفضل ، وجعله استثناءً بيانياً لهذا المعنى كما فعل الطيبي بعيد ، وقيل : (رهين) فعيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسب راهن أى دائم ثابت ، وفي الارشاد أنه أنسب بالمقام فإن الدوام يقتضى عدم المفارقة بين المراء وعمله ، ومن ضرورته أن لا ينقص من ثواب الآباء شئ ، فالجملته تعليل لما قبلها ، وأنت تعلم أن فعيلاً بمعنى المفعول أسرع تبادراً إلى الذهن فاعتباره أولى ووجه الاتصال عليه أوفق وألطف كما لا يخفى •

﴿ وَأَمَدَدْنَهُمْ بِفَكْهَةٍ وَلَحْمٍ مَّأْيَشْتَهَوْنَ ٢٣ ﴾ أى وزدناهم على ما كان لهم من مبادئ التنعم وقتاً فوقتاً بما يشتهون من فنون النعماء والأوان الآلاء ، وأصل المد الجر ، ومنه المدة للوقت الممتد ثم شاع في الزيادة ، وغلب الإمداد في المحبوب ، والمد في المكروه وكونه وقتاً بعد وقت مفهوم المد نفسه ﴿ يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا ﴾ أى يتجاذبون في الجنة هم وجلساؤهم تجاذب ملاعبة كما يفعل ذلك الدماي بينهم في الدنيا لشدة سرورهم قال الاخطل : نازعته طيب الراح الشمول وقد صاح الدجاج وحانت وقعة السارى

وقيل : التنازع مجاز عن التعاطى ، والكأس مؤنث سماعى كالخمر ، ولا تسمى كأساً على المشهور إلا إذا امتلأت خمراً أو كانت قريبة من الامتلاء ، وقد تطلق على الخمر نفسها مجازاً لعلاقة المجاورة ، وقال الراغب : الكأس الإيحاء بما فيه من الشراب ويسمى كل واحد منهما بانفراده كأساً ، وفسرها بعضهم هنا بالإيحاء بما فيه من الخمر ، وبعضهم بالخمر ، والاول أوفق بالتجاذب ، والثاني بقوله سبحانه : ﴿ لَّا لَغْوٌ فِيهَا ﴾ أى فى شربها حيث لا يتكلمون فى أثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام ﴿ وَلَا تَأْتِيهِمْ ﴾ ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله أى ينسب إلى الأثم لو فعله فى دار التكليف كما هو ديدن الدماي فى الدنيا وإنما يتكلمون بالحكم وأحسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام ، وقرأ ابن كثير . وأبو عمرو (لا لغو) (ولا تأثم) بفتحهما ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ ﴾ أى بالكأس ﴿ غُلَّانٌ لَهُمْ ﴾ أى بمالك مختصون بهم كما يؤذن به اللام ولم يقل غللائهم بالاضافة لئلا يتوهم أنهم الذين كانوا يخدمونهم فى الدنيا فيشفق كل من خدم أحداً فى الدنيا أن يكون خادماً له فى الجنة فيحزن بكونه لا يزال تابعا ، وقيل : أولادهم الذين سبقوهم فالاختصاص بالولادة لا بالملك ، وفيه أن التعبير عنهم بالغللان غير مناسب وكذا نسبة الخدمة إلى الأولاد لا تناسب مقام الامتنان ﴿ كَأَنَّهُمْ لَوُثُّ مَكْنُونٌ ٢٤ ﴾ مضمون فى الصدف لم تنله الايدى - كما قال ابن جبير - ووجه الشبه البياض والصفاء ، وجوز أن يراد بمكنون مخزون لأنه لا يخزن إلا الحسن الغالى الثمن ، أخرج عبد الرزاق . وابن جرير . وابن المنذر عن قتادة قال : « بلغنى أنه قيل : يا رسول الله هذا الخادم مثل اللؤلؤ فكيف بالخدم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « والذى نفسى بيده إن فضل ما بينهم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » وروى « أن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجى ألف ياباه لييك لييك » •

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ٢٥ ﴾ أى يسأل كل بعض منهم بعضاً آخر عن أحواله وأعماله فيكون

كل بعض سائلاً ومسئولاً لا أنه يسأل بعض معين منهم بعضاً آخر معيناً ثم هذا التساؤل في الجنة كما هو الظاهر، وحكى الطبري عن ابن عباس أنه إذا بعثوا في النفخة الثانية ولا أراه يصح عنه لبعده جداً ﴿ قَالُوا ﴾ أى المسئولون وهم كل واحد منهم في الحقيقة ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ ﴾ أى قبل هذا الحال ﴿ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ٢٦ ﴾ أرقاء القلوب خائفين من عصيان الله عز وجل معتنين بطاعته سبحانه ، أو وجلين من العاقبة ، و (في أهلنا) قيل : يحتمل أنه كناية عن كون ذلك في الدنيا ، ويحتمل أن يكون بياناً لكون إشفاقهم كان فيهم وفي أهلهم لتبعية لهم في العادة ويكون قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ أى بالرحمة والتوفيق ﴿ وَوَقْنَا عَذَابَ السُّمُومِ ٢٧ ﴾ أى عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وهو الريح الحارة المعروفة ، ووجه الشبه وإن كان في النار أقوى لكنه في ريح السموم لمشاهدته في الدنيا أعرف فلذا جعل مشبهاً به ، وقال الحسن : (السموم) اسم من أسماء جهنم عاماً لهم ولأهلهم ، فالمراد ببيان مامن الله تعالى به عليهم من اتباع أهلهم لهم ، وقيل : ذكر (في أهلنا) لإثبات خوفهم في سائر الأوقات والأحوال بطريق الأولى فإن كونهم بين أهلهم مظنة الأمن ولا أرى فيه بأساً ، نعم كون ذلك لأن السؤال عما اختصوا به من الكرامة دون أهلهم ليس بشئ ، وقيل : لعل الأولى أن يجعل ذلك إشارة إلى الشفقة على خلق الله تعالى كما أن قوله عز وجل : ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ ﴾ إلى آخره إشارة إلى التعظيم لامر الله تعالى وترك العاطف يجعل الثاني بياناً للأول ادعاءً للمبالغة في وجوب عدم انفكاك كل منهما للآخر ولا يخفى ما فيه ، والذي يظهر أن هذا إشارة إلى الرجاء وترك العطف لقصد تعداد ما كانوا عليه أى إنا كنا من قبل ذلك نعبد الله ونسأله الوقاية ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ ﴾ أى المحسن كما يدل عليه اشتقاقه من البر بسائر مواده لأنها ترجع إلى الاحسان - كبر في يمينه - أى صدق لأن الصدق إحسان في ذاته ويلزمه الاحسان للغير ، وأبرز الله تعالى حجة أى قبله لأن القبول إحسان وزيادة ، وأبرز فلان على أصحابه أى علام لأنه غالباً ينشأ عن الاحسان لهم فتفسيره باللطيف كما روى عن ابن عباس ، أو العالى في صفاته ، أو خالق البر ، أو الصادق فيما وعد أوليائه كما روى عن ابن جريج بعيد إلا أن يراد بعض ماصدقات ، أو غايات ذلك البر ؟ ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ الكثير الرحمة الذى إذا عبد أتاب وإذا سئل أجاب ، وقرأ أبو حيوة (ووقانا) بتشديد القاف ، والحسن . وأبو جعفر . ونافع . والسكاني (أنه) بفتح الهمة لتقدير لأم الجر التعليلية قبلها أى لأنه ﴿ فَذَكِّرْ ﴾ فأنبت على ما أنت عليه من التذكير بما أنزل عليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكثر بما يقولون بما لاخير فيه من الإباطيل •

﴿ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٌ ﴾ هو الذى يخبر بالغيب بضرب من الظن ، وخص الراغب الكاهن بمن يخبر بالأخبار الماضية الخفية كذلك ، والعزاف بمن يخبر بالأخبار المستقبلية كذلك ، والمشهور في الكهانة الاستمداد من الجن في الأخبار عن الغيب ، والباء في (بكاهن) مزيدة للتأكيد أى ما أنت كاهن ﴿ وَلَا يَجْنُونَ ٢٩ ﴾ واختلف في باء (بنعمة) فقال أبو البقاء : للملاسة ، والجار والمجرور في موضع الحال والعامل فيه كاهن ، أو مجنون ، والتقدير ما أنت كاهن ولا مجنون ملتبساً بنعمة ربك وهى حال لازمة لأنه عليه الصلاة والسلام مازال ملتبساً بنعمة ربه عز وجل ، وقيل : للقسم فنعمة ربك مقسم به ، وجواب القسم ما علم من الكلام وهو - ما أنت بكاهن ولا مجنون - وهذا كما تقول : ما زيد والله بقائم وهو بعيد ، والإقرب عندى أن الباء للسبية

وهو متعلق بمضمون الكلام ، والمعنى اتقى عنك السكينة والجنون بسبب نعمة الله تعالى عليك ، وهذا كما تقول ما أنا معسر بحمد الله تعالى وإغناؤه ، والمراد الرد على قائل ذلك ، وإبطال مقاتلهم فيه عليه الصلاة والسلام وإلا فلا امتنان عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بانتفاء ما ذكر مع انتفائه عن أكثر الناس ، وقيل : الامتنان بانتفاء ذلك بسبب النعمة المراد بها ما أوتيته صلى الله تعالى عليه وسلم من صدق النبوة ورجاحة العقل التي لم يؤتها أحد قبله ، والقائلون بذلك هم الكفرة قاتلهم الله تعالى أنى يؤفكون ، ومن قال كاهن : شيبة بن ربيعة ، ومن قال مجنون : عقبة بن أبي معيط ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ أى بل أيقولون ﴿ شَاعِرٌ ﴾ أى هو شاعر ﴿ تَرَبَّصْ ﴾ أى ننتظر ﴿ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ ٣٠ ﴾ أى الدهر ، وهو فعول من المن بمعنى القطع لأنه يقطع الأعمار وغيرها ، ومنه جبل منين أى مقطوع ، والريب مصدر رابه إذا أفلقه أريد به حوادث الدهر وصروفه لأنها تقلق النفوس وعبر عنها بالمصدر مبالغة ، وجوز أن يكون من راب عليه الدهر أى نزل ، والمراد بنزوله إهلاكه ، وتفسير المنون بالدهر مروى عن مجاهد . وعليه قول الشاعر :

(ترصد بها ريب المنون) لعلها تطلق يوماً أو يموت حليها

وبيت أبي ذؤيب

أمن (المنون وريه) يتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

قيل : ظاهره ذلك ، وكذلك قول الأعشى :

أأن رأت رجلاً أعشى أضرت به (ريب المنون) ودهر متبل خبل

ولهذا أنشده الجوهري شاهداً له ، وأخرج ابن جرير . وغيره عن ابن عباس تفسيره بالموت وهو مشترك بين المعنيين فقد قال المرزوقي فى شرح بيت أبي ذؤيب المار آنفاً : المنون قد يراد به الدهر فيذكر وتكون الرواية ريبه ، وقد يراد به المنية فيؤنث ، وقد روى ريبها ، وقد يرجع له ضمير الجمع لقصد أنواع المنايا وريبها نزولها انتهى فلا تغفل ، وهو أيضاً من المن بمعنى القطع فإما قاطعة الأمانى واللذات ، ولذا قيل : المنية تقطع الأمانة ، وريب المنون عليه نزول المنية ، وجوز أن يكون بمعنى حادث الموت على أن الإضافة بيانية ، روى أن قريشاً اجتمعت فى دار الندوة وكثرت آراؤهم فيه عليه الصلاة والسلام حتى قال قائل منهم وهم بنو عبد البار - كما قال الضحاك - تربصوا به ريب المنون فانه شاعر سيهلك كما هلك زهير . والنابعة والأعشى فافترقوا على هذه المقالة فنزلت ، وقرأ زيد بن على (يترصد) بالياء مبنياً للمفعول ، وقرئ (ريب) بالرفع على النيابة • ﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا ﴾ تهكم بهم ، وتهديد لهم ﴿ فَإِنِّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ٣١ ﴾ أترصد هلاككم كما تترصدون هلاكى ، وفيه عدة كريمة يأهلاهم ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ ﴾ أى عقولهم وكانت قريش يدعون أهل الأحلام والنهى - وذلك على ما قال الجاحظ - لأن جميع العالم يأتونهم ويخالطونهم وبذلك يكمل العقل وهو يكمل بالمسافة وزيادة رؤية البلاد المختلفة والامكان المتباينة ومصاحبة ذوى الاخلاق المتفاوتة وقد حصل لهم الغرض بدون مشقة ، وقيل لعمر بن العاص : ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله تعالى بالعقل ؟ فقال : تلك عقول كادها الله عز وجل أى لم يصحبها التوفيق فلذا لم يؤمنوا وكفروا - وأنا لأرى فى الآية دلالة على رجحان عقولهم -

ولعلها تدل على ضد ذلك ﴿بِهَذَا﴾ التناقص في المقال فإن الكاهن والشاعر يكونان ذا عقل تام وفطنة وقادة والمجنون مغطى عقله بخذل فكره وهذا يعرب عن أن القوم لتجبرهم وعصبيتهم وقعوا في حيص بيص حتى اضطربت عقولهم وتناقضت أقوالهم و كذبوا أنفسهم من حيث لا يشعرون ، وأمر الاحلام بذلك مجاز عن التأدية اليه بعلاقة السببية كما قيل ، وقيل : جعلت الاحلام آمرة على الاستعارة المكنية فتشبه الاحلام بسطان مطاع تشبيها مضمرأ في النفس ، وثبت له الامر على طريق التخيل ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ٢٢﴾ مجاوزون الحدود في المكابرة والعناد لا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الاكاذيب المحضة الخارجة عن دائرة العقول ، وقرأ مجاهد (بل هم) ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ أى اختلقه من تلقاء نفسه ❖ وقال ابن عطية : معناه قال : عن الغير أنه قاله فهو عبارة عن كذب مخصوص ، وضمير المفعول للقرآن ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ٢٣﴾ فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الاباطيل كيف لا ومارسوا الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلا واحد من العرب فكيف أتى بما عجز عنه كافة الأمم من العرب والعجم ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ بمائل القرآن في النعوت التي استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ٢٤﴾ فيما زعموا فان صدقهم في ذلك يستدعى قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه الصلاة والسلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار ، وكثرة المزاولة لأساليب النظم والنثر ، والمبالغة في حفظ الوقائع والأيام ؛ ولاريب في أن القدرة على الشئ من موجبات الاتيان به ودواعي الامر بذلك ، فالكلام ردّ الاقوال المذكورة في حقه عليه الصلاة والسلام ، والقرآن بالتحدى فاذا تحدى وعجزوا علم رد ما قالوه وصحة المدعى ، وجوز أن يكون ردّاً لزعمهم التقول خاصة فان غيره مما تقدم حتى الكهانة كما لا يخفى أظهر فساداً منه ومع ذلك إذا ظهر فساد زعم التقول ظهر فساد غيره بطريق اللزوم ، وقرأ الجحدري ، وأبو السمال بحديث مثله على الاضافة أى بحديث رجل مثل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في كونه أمياً لم يصحب أهل العلم ولا رحل عن بلده ، أو مثله في كونه واحداً منهم فلا يعوز أن يكون في العرب مثله في الفصاحة فليأت بمثل ما أتى به ولن يقدر على ذلك أبداً ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ أى أم أحدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير مقدر وخالق ، وقال الطبري : المراد أم خلقوا من غير شئ حتى فهم لا يؤمرون ولا ينهاون كالجادات ، وقيل : المعنى أم خلقوا من غير علة ولا غاية ثواب وعقاب فهم لذلك لا يسمعون ، و(من) عليه للسببية ، وعلى ما تقدم لا ابتداء الغاية والمعول عليه من الأقوال ما قدمنا ، وسيأتى إن شاء الله تعالى زيادة إيضاح له ، ويؤيده قوله سبحانه : ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ٢٥﴾ ❖ أى الذين خلقوا أنفسهم فذلك لا يعبدون الله عز وجل ولا يلتفتون إلى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم إذ على القولين لا يظهر حسن المقابلة ، وإرادة خلقوا أنفسهم يشعر به قوله تعالى : ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ❖ إذ لو أريد العموم لعدم ذكر المفعول لم يظهر حسن المقابلة أيضاً ، وقال ابن عطية : المراد أم الذين خلقوا الاشياء فهم لذلك يتكبرون ثم خص من تلك الاشياء السموات والارض اعظمهما وشر فهمها في المخلوقات وفيه ما سمعته ❖ ﴿بَلْ لَا يُوقِنُونَ ٢٦﴾ ❖ أى إذا سألوا من خلقكم وخلق السموات

والأرض؟ قالوا: الله وهم غير موقنين بما قالوا إذ لو كانوا موقنين لما أعرضوا عن عبادته تعالى فان من عرف خالقه وأيقن به امثل أمره وانقاد له ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ أي خزائن رزقه تعالى ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاموا، ويمسكوها عن شاموا، وقال الرماني: خزائنه تعالى مقدوراته سبحانه، وقال ابن عطية: المعنى أم عندهم الاستغناء عن الله تعالى في جميع الامور لان المال والصحة والعزة وغير ذلك من الاشياء من خزائن الله تعالى، وقال الزهري: يريد بالخزائن العلم واستحسنه أبو حيان، وسيأتي إن شاء الله تعالى ما يعلم حاله منه ﴿أَمْ هُمُ الْمُصِيطَرُونَ ٣٧﴾ * الارباب الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية ويبذروا الامور على إرادتهم ومشيتهم فالمسيطر الغالب، وفي معناه قول ابن عباس: الماسط القاهرو هو من سيطر على كذا إذا راقبه وأقام عليه وليس مصغراً كما يتوهم ولم يأت على هذه الزنة إلا خمسة ألفاظ أربعة من الصفات، وهي مهيمن ومسيطر ومبقر ومسيطر، وواحد من الاسماء، وهو مجيم راسم جبل، وقرأ الاكثر (المصيطرون) بالصاد لمكان حرف الاستعلاء وهو الطاء، وأشم خلف عن حمزة وخلاص عنه بخلاف الزاي ﴿أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ﴾ هو ما يتوصل به إلى الامكنة العالية فيرجى به السلامة ثم جعل اسماً لكل ما يتوصل به إلى شيء رفيع كالسبب أي أم لهم سلم منصوب إلى السماء ﴿يَسْتَمْعُونَ فِيهِ﴾ أي صاعدين فيه على أن الجار والمجرور متعلق بكون خاص محذوف وقع حالا والظرفية على حقيقتها، وقيل: هو متعلق - يستمعون - على تضمينه معنى الصعود *

وقال أبو حيان: أي يستمعون عليه أومنه إذ حروف الجر قد يستد بعضها مستد بعض ومفعول (يستمعون) محذوف أي كلام الله تعالى، قيل: ولو نزل منزلة اللازم جاز ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمْعُهُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ٣٨﴾ أي بحجة واضحة تصدق استماعه ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ٣٩﴾ تسفيه لهم وتركيبك لعقولهم، وفيه إيدان بأن من هذا رآه لا يكاد يعتد من العقلاء فضلا عن الترقى إلى عالم الملكوت وسماع كلام ذي العزة والجبروت والالتفات إلى الخطاب لتشديد الإنكار والتوبيخ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ أي على تبليغ الرسالة وهو رجوع إلى خطابه صلى الله تعالى عليه وسلم وإعراض عنهم ﴿فَهُمْ﴾ لا جل ذلك ﴿مِّنْ مَّغْرَمٍ﴾ مصدر ميمي من الغرم والغرامة وهو - كما قال الراغب - ما ينوب الانسان في ماله من ضرر لغير جنابة منه، فالكلام بتقدير مضاف أي من التزام مغرم، وفسره الزمخشري بالتزام الانسان ما ليس عليه فلا حاجة إلى تقدير - لكن الذي تقتضيه اللغة هو الأول - ﴿مُّتَقَلُّونَ ٤٠﴾ أي يحملون الثقل فلذلك لا يتبعونك ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أي اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ ٤١﴾ منه ويخبرون به الناس - قاله ابن عباس - وقال ابن عطية: أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون ما يزعمون للناس شرعاً، وذلك عبادة الاوثان وتسبيب السوائب وغير ذلك من سيرهم، وقال قتادة: (أم عندهم الغيب) فهم يعلمون متى يموت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الذي يتربصون به، وفسر بعضهم (يكتبون) يحكمون ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بك وبشرعك وهو ما كان منهم في حقه ﷺ بدار الندوة بما هو معلوم من السير، وهذا من الاخبار بالغيب فان قصة دار الندوة وقعت في وقت الهجرة وكان نزول السورة قبلها كما تدل عليه الآثار ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم المذكورون المريدون كيداً عليه الصلاة والسلام،

ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما في حيز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به ، وجوز أن يراد جميع الكفرة وهم داخلون فيه دخولا أولاً ﴿ هُمُ الْمَكِيدُونَ ٤٢ ﴾ أي الذين يحيق بهم كيدهم ويعود عليهم وبالله لا من أرادوا أن يكيدوه وكان وباله في حق أولئك قتلهم يوم بدر في السنة الخامسة عشر من النبوة قيل: ولذا وقعت كلمة (أم) مكررة هنا خمس عشرة مرة للإشارة لما ذكر ، ومثله على ما قال الشهاب : لا يستبعد من المعجزات القرآنية وإن كان الانتقال لمثله خفي ومناسبتة أخفى ، وجوز أن يكون المعنى هم المغلوبون في الكيد من ثابته فكذته ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ يعينهم ويحرسهم من عذابه عز وجل *

﴿ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٤٣ ﴾ أي عن إشرألكم على أن ماصدرية ، أو عن شركة الذي يشركونه على أنها موصولة وقبلها مضاف مقدر والعائد محذوف ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا ﴾ قطعة فهو مفرد وقد قرئ في جميع القرآن كسفاً وكسفاً جمعاً وإفراداً إلا هنا فإنه على الأفراد وحده ، وتنوينه للتفخيم أي وإن يروا كسفاً عظيماً ﴿ مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا ﴾ لتعذيبهم ﴿ يَقُولُوا ﴾ من فرط طغيانهم وعنادهم ﴿ سَحَابٌ ﴾ أي هو سحاب ﴿ مَّرْكُومٌ ٤٤ ﴾ متراكم ملقى بعضه على بعض أي هم في الطغيان بحيث لو أسقطنا عليهم حسباً قالوا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً لقالوا هو سحاب متراكم يطرنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط لعذابهم ﴿ قَدَرُهُمْ ﴾ فدعهم غير مكترث بهم وهو على ما في البحر أمر موادة منسوخ بآية السيف ﴿ حَتَّى يُلَاقُوا ﴾ وقرأ أبو حيوة يلقوا مضارع لقي ﴿ يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ٤٥ ﴾ على البناء للفعول وهي قراءة عاصم وابن عامر. وزيد بن علي. وأهل مكة في قول شبل بن عباد: من صعقته الصاعقة ، أو من أصعقته ، وقرأ الجمهور وأهل مكة في قول إسماعيل: يصعقون بفتح الياء العين ، والسلي بضم الياء وكسر العين من أصعق رباعياً ، والمراد بذلك اليوم يوم بدر ، وقيل : وقت النفخة الأولى فإنه يصعق فيه من في السموات ومن في الأرض ، وتعقب بأنه لا يصعق فيه إلا من كان حياً حينئذ وهؤلاء ليسوا كذلك وبأن قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ أي شيئاً من الإغناء بدل من يومهم ، ولا يخفى أن التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعي استعمالهم له طمعاً بالاتفاف به وليس ذلك إلا ما دروه في أمره صلى الله تعالى عليه وسلم من الكيد الذي من جملة مناصبتهم يوم بدر ، وأما النفخة الأولى فليست مما يجري في مدافعة الكيد والحيل ، وأجيب عن الأول بمنع اختصاص الصعق بالحى فالموتى أيضاً يصعقون وهم داخلون في عموم (من) وإن لم يكن صعقهم مثل صعق الأحياء من كل وجه وهو خلاف الظاهر فيحتاج إلى نقل صحيح ، وعن الثاني بأن الكلام على نهج قوله :

* على لاجب لا يهتدى بمناره * فالمعنى يوم لا يكون لهم كيد ولا إغناء وهو كثير في القرآن وباب من أبواب البلاغة والاحسان ، وقيل: هو يوم القيامة - وعليه الجمهور - وفيه بحث ، وقيل: هو يوم موتهم ، وتعقب بأن فيه ما فيه مع أنه تأباه الإضافة المنبئة عن اختصاصه بهم فلا تغفل ﴿ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ ٤٦ ﴾ من جهة الغير في دفع العذاب عنهم ﴿ وَأَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي لهم ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر قبل وجوز العموم وهم داخلون دخولا أولاً ﴿ عَذَابًا ﴾ آخر ﴿ دُونَ ذَلِكَ ﴾ دون ما لا قوه من القتل أي قبله وهو - كما قال مجاهد -

القحط الذي أصابهم سبع سنين *

وعن ابن عباس هو ما كان عليهم يوم بدر والفتح ، وفسر (دون ذلك) بقبل يوم القيامة بناءً على كون يومهم الذي فيه يصعقون ذلك ، وعنه أيضاً . وعن البراء بن عازب أنه عذاب القبر وهو مبنى على نحو ذلك التفسير ، وذهب إليه بعضهم بناءً على أن (دون ذلك) بمعنى وراء ذلك كما في قوله * يريك القذى من دونها وهو دونها * وإذا فسر اليوم بيوم القيامة ونحوه ، و (دون ذلك) بقبله ، وأريد العموم من الموصول فهذا العذاب عذاب القبر ، أو المصائب الدنيوية ، وفي مصحف عبدالله - دون ذلك قريباً - ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٤٧ ﴾ إن الامر كما ذكر ، وفيه إشارة إلى أن فيهم من يعلم ذلك وإنما يصر على الكفر عناداً ، أو لا يعلمون شيئاً * ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ يامها لهم إلى يومهم الموعود وإبقائك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان ومعاناة الهموم ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ أى في حفظنا وحراستنا ، فالعين مجاز عن الحفظ ، ويتجاوز بها أيضاً عن الحافظ وهو مجاز مشهور ، وفي الكشف هو مثل أى بحيث نراك ونكأوك ، وجمع العين هنا لإضافته إلى ضمير الجمع ووحده (طه) لإضافته إلى ضمير الواحد ، ولوح الزخشرى - في سورة المؤمنين - إلى أن فائدة الجمع الدلالة على المبالغة في الحفظ كأن معه من الله تعالى حفاظاً يكلؤونه بأعينهم ، وقال العلامة الطيبي : إنه أفرد هنالك لافراد الفعل وهو كلامة موسى عليه السلام ، وههنا لما كان لتبصير الحبيب على المسكايد ومشاق التكالييف والطاعات ناسب الجمع لأنها أفعال كثيرة كل منها يحتاج إلى حراسة منه عز وجل انتهى ، ومن نظر بعين بصيرته علم من الآيتين الفرق بين الحبيب والحكيم عليهما أفضل الصلاة وأكمل التسليم ، ثم إن الكلام في نظير هذا على مذهب السلف مشهور ، وقرأ أبو السمال - بأعينا - بنون مشددة ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ أى قل سبحان الله ملتبساً بحمده تعالى على نعمائه الفاتئة الحصر ، والمراد سبحانه تعالى واحمده ﴿ حِينَ تَقُومُ ٤٨ ﴾ من كل مجلس قاله عطاء . ومجاهد . وابن جبير ، وقد صح من رواية أبي داود . والنسائي . وغيرهما عن أبي برزة الاسلمى « أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول إذا أراد أن يقوم من المجلس : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك فسئل عن ذلك فقال : كفارة لما يكون في المجلس » والآثار في ذلك كثيرة ، وقيل : حين تقوم إلى الصلاة ، أخرج أبو عبيد . وابن المنذر عن سعيد بن المسيب قال : « حق على كل مسلم حين يقوم إلى الصلاة أن يقول : سبحان الله وبحمده لأن الله تعالى يقول لئن لم يكن الله تعالى عليه وسلم : (وسبح بحمد ربك حين تقوم) » وأخرج سعيد بن منصور وغيره عن الضحاك أنه قال في الآية : حين تقوم إلى صلاة تقول هؤلاء الكلمات « سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك » وحكاها في البحر عن ابن عباس ؛ وأخرج عنه ابن مردويه أنه قال : « سبّح بحمد ربك حين تقوم من فراشك إلى أن تدخل في الصلاة » وروى نحوه عن ابن السائب ، وقال زيد أسلم : « حين تقوم من القائلة والتسبيح إذا كان هو صلاة الظهر » وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَلِيلَ فَسَبِّحْهُ ﴾ أفراد لبعض الليل بالتسبيح لما أن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل ﴿ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾ أى وقت إدبارها من آخر الليل أى غيبتها بضوء الصباح ، وقيل : التسبيح من الليل صلاة المغرب والعشاء ، (وإدبار النجوم) ركعتا الفجر ، وعن عمر رضى الله تعالى عنه .

وعلى كرم الله تعالى وجهه . وأبى هريرة . والحسن رضى الله تعالى عنهما التسبيح من الليل النوافل ، و(إدبار النجوم) ركعتا الفجر ، وقرأ سالم بن أبي الجعد . والمنهال بن عمرو . ويعقوب - أدبار - بفتح الهمزة جمع دبر بمعنى عقب أى فى أعقابها إذا غربت ، أو خفيت بشعاع الشمس *

هذا ونظم الآيات من قوله تعالى : (أم يقولون شاعر) إلى قوله سبحانه : (أم لهم إله غير الله) الخ فيه غرابة ولم أر أحداً كشف عن لثامه كصاحب الكشف جزاه الله تعالى خيراً ، ولغاية حسنه - وكونه بما لا مزيد عليه - أحببت نقله بحذافيره لكن مع اختصار ما ، فأقول : قال : أو ما الزمخشري إلى وجهين فى ذلك فى قوله تعالى : (بل قالوا أضغاث أحلام بل اقترأه بل هو شاعر) : أحدهما أنه حكاية قولهم المضطرب على وجهه ، والثانى أنه تدرج منه سبحانه فى حكاية ما قالوه من المنكر إلى ما هو أدخل فيه ، والاول ضعيف فيما نحن فيه لأن ماسبق له الكلام ليس اضطراب أقوالهم فتحكى على ما هو عليه بل تسليته عليه الصلاة والسلام وأنه لا محالة ينتقم له منهم وأن العذاب المكذب به واقع بهم جزاءاً لتكذيبهم بالنبي والنبأ والمنبأ به ، فالمتعين هو الثانى ، ووجهه - والله تعالى أعلم - أن قوله : (فذكر) معناه إذ ثبت كون العذاب واقعاً وكون الفريقين المصدقين والمكذبين مجزيين بأعمالهم ، وإنك على الحق المدين الذى من كذب به استحق الهوان ، ومن صدق استحق الرضوان فدم على التذكير ولا تبال بما تكيد فإنك أنت الغالب حجة وسيفاً فى هذه الدار ، ومنزلة ورفعة فى دار القرار ، ومن قوله تعالى : (فما أنت) إلى قوله سبحانه : (هم المكيدون) تفصيل هذا المجمل مع التعريض بفساد مقالاتهم الحقاء وأنهم يبرأى من الله تعالى ومسمع فلا محالة ينتقم لنبيه عليه الصلاة والسلام منهم ، وفيه أن النبي ﷺ من الله تعالى بمكان لا يقادر قدره فهو شتم من عضد التسلي ، وقوله سبحانه : (فما أنت بنعمة ربك) الخ فيه أن من أنعم عليه بالنبوة يستحيل أن يكون أحدهذين ، وبدأ بقولهم المتناقض لينبه أولاً على فساد آرائهم ويجعله دستوراً فى إعراضهم عن الحق وإثارة اتباع أهوائهم فما أبعد حال من كان أتقنهم رأياً وأرجحهم عقلاً وأبينهم آياً منذ ترعرع الى أن بلغ الأشد من الجنون والسكرانة على أنهما متناقضان لأن السكران كانوا عندهم من كاملهم وكان قولهم إماماً متبعاً عندهم فأين السكرانة من الجنون ، ثم ترقى مضرباً إلى قولهم فيه وحاشاه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه شاعر لأنه أدخل فى الكذب من السكران والجنون وقدماً قيل : أحسن الشعر أ كذبه ليبين حال تلجلجهم واضطرابهم ، وقوله تعالى : (قل تربصوا) من باب المجازاة بمثل صنيعهم وفيه تميم للوعيد ، فهذا باب من إنكارهم هدمه سبحانه أولاً لتلويحاً بقوله تعالى : (بنعمة ربك) وثانياً تصريحاً بقوله جل وعلا . (أم تأمرهم أحلامهم) كأنه قيل دعهم وتلك المقالة وما فيها من الاضطراب فقيها عبرة ، ثم قيل : لا بل ذلك من طغيانهم لأنه أدخل فى الذم من نقصان العقل وأبلغ فى التسلية لأن من طغى على الله عز وجل فقد باء بغضبه ، ثم أخذ فى باب أوغل فى الإنكار وهو نسبة الاقتراء اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك لأن الاقتراء أبعد شئ من حاله لاشتهاره بالصدق على أن كونه اقتراءً وعجزهم عن الاتيان بأقصر سورة من هذا المفترى متافيات لدلالته على الصدق على مامر - فى الأحقاف - ولأن الشاعر لا يعتمد الكذب لذاته ، ثم قد يكون شعره حكماً ومواعظ وهو لا ينسب فيه إلى عار ، والتدرج عن الشعر هنا عكس التدرج اليه فى الأنبياء لأن بناء الكلام هنا على التدرج فى المناقضة والتوغل فى القدح فيه عليه الصلاة والسلام ونفى رسالته ، وهنالك عن القدح فى بعض من الذكر متجدد النزول فقيل : إن اقتراءه لا يبعد بمن هو شاعر ذو اقتراءات كثيرة ، وأين هذا من ذاك ؟ وللتنبية على التوغل

جاء بصريح حرف الاضراب في الرد فقيل : (بل لا يؤمنون) وعقب بقوله تعالى : (فليأتوا) ثم من لا يؤمن أشد إنكاراً له من الطاغى كما أن المفترى أدخل في الكذب من الشاعر ، ثم أخذ في أسلوب أبلغ في الرد على مقالاتهم الجنون والكهانة لتقاربهما ، ثم الشعر ، ثم الافتراء حيث نزل القائلين منزلة من يدعى أنه خلق من غير شيء أى مقدر وخالق وإلا لأهمهم البحث عن صفاته وأفعاله فلم ينكروا منك ما أنكروا ، ومن حسب أنه مستغن عن الموجد نسب رسوله إلى الجنون والكهانة لا بل كن يدعى أنه خالق نفسه فلا خالق له ليجث عن صفاته فهو ينسبه إلى الشعر إذ لا يرسل إليه البتة ، والشعر أدخل في الكذب لا بل كن يدعى أنه خلق السموات والأرض وما بينهما فهو ينسبه إلى الافتراء حيث لم يرسله ، ثم أضرب صريحاً عنه بقوله تعالى : (بل لا يؤمنون) ومن لا إيقان له بمثل هذا البديهي لا يبعد أن يزك بما زن ، فكأنه قيل : مقالاتهم تلك تؤدي إلى هذه لأنهم كانوا قائلين بها إظهاراً لتباديه في العناد ، ثم بولغ فيه فجاء بما يدل على أن الرسول لا بد أن يكون مفترى غير صالح للنبوّة في زعمهم ، فالأول لما لم يمنع تعدد الآلهة إنما يدل على افتراءه من حيث أن أحد الخالقين لا يدعو الآخر إلى عبادته ، والثاني يمنع بالكلية لأنه إذا كان عندهم جميع خزائن ربه وهم ما أرسلوه لزم أن يكون مفترى ألبتة ، وأدجج فيه إنكارهم للمعاد ، ونسبتهم إليه صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك أيضاً خاصة إلى الافتراء ، والحل على خزائن القدرة أظهر لأن (أم عندهم الغيب) إشارة إلى خزائن العلم ولما كان المقصود هنالك أمر البعث على ما سيحقق إن شاء الله تعالى كان هذا القول أيضاً من القبول بمكان ولا يخفى ما في قوله تعالى : (أم هم المسيطرون) من الترقى ثم لما فرغ من ذلك وبين فساد ما بنوا عليه أمر الإنكار بدليل العقل قيل : لم يبق إلا المشاهدة والسماع منه تعالى وهو أظهر استحالة قهكم بهم ، وقيل : (بل لهم سلم يستمعون) وذيل بقوله تعالى : (أم له البنات) إشعاراً بأن من جعل خالقه أدون حالاً منه لم يستبعد منه تلك المقالات الخرفاء كأنه سلى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقيل : ناهيك بتساوى الطعنين في البطلان وبما يلحقون من سوء مغبتهم ، ثم قيل : (أم تسألهم أجراً) أى إن القوم أرباب ألباب وليسوا من تلك الأوصاف في شيء بل الذى زهدهم فيك أنك تسألهم أجراً مالا ، أو جاهاً ، أو ذكراً ، وفيه تهكم بهم وذم لهم بالحسد واللؤم وأنهم مع قصور نظرهم عن أمر الميعاد لا يبنون الأمر على المتعارف المعتاد إذ لا أحد من أهل الدنيا وذوى الاخطار يجبه الناصح المبرأ ساحته عن لوث الطمع بتلك المقالات على أنه حسد لا موقع له عند ذويه فليسوا في أن يحصل لهم نعمة النبوّة ولا هو بمن يطمع في نعمهم إحدى الثلاث ، ثم قيل : (أم عندهم الغيب) على معنى بل أعندهم اللوح فيعلمون كل ما هو كائن ويكتبون فيه تلك المعلومات وقد علموا أن ما تدعيه من المعاد ليس من الكائن المكتوب ، والمقصود من هذا نفى المنبأ به أعنى البعث على وجه يتضمن دفع النبوّة أيضاً إدماجاً عكس الأول ولهذا أخره عن قوله تعالى : (أم لهم سلم) فقد سلف أن مصب الغرض حديث النبأ والمنبأ والمنبأ به فقطى الوطر من الأولين مع الرمز إلى الأخير ، ثم أخذ فيه مع الرمز اليهما قضاءً لحق الإعجاز ، ففي الغيب إشارة إلى الغيب أعنى الساعة أول كل شيء وفيه ترق في الدفع من وجه أيضاً لأن العلم أشمل مورداً من القدرة ولأن الأول إنكار من حيث أنهم لم يرسلوه ، وهذا من تلك الحثيئة ، ومن حيث أنهم ما علموا بإرسال غيره إياه أيضاً مع إحاطة علمهم لكنه غير مقصود قصداً أولياً ، ثم ختم الكلام بالإضراب عن الإنكار إلى الاخبار عن حالهم بأنهم يريدون بك كيداً فهم ينصبون لك الجبائل قولاً وفعلًا

لا يقفون على هذه المقالة وحدها وهم المكيدون لا أنت قولاً وفعلاً وحجة وسيفاً ، وحقق ماضنه من الوعيد بقوله سبحانه : (أم لهم إله غير الله) فينجيهم من كيده وعذابه لا والله سبحانه الله عن أن يكون إله غيره ، ومنه يظهر أن حمل الذين كفروا على المرادين به كيداً أظهر في هذا المساق انتهى ، وكأن ما بعد تأكيده لآمر (١) طغيانهم ومزيد تحقيق للوعيد ومبالغة في التسلية ، ويعلم بما ذكره - لازالت رحمة الله تعالى عليه متصلة - أن (أم) في كل ذلك منقطعة وهي مقدرة بيل الاضراية ، والاضراب ههنا واقع على سبيل الترقى وبالهمزة وهي للإنكار وهو ما اختاره أبو البقاء وكثير من المفسرين ، وحكى الثعلبي عن الخليل أنها متصلة والمراد بها الاستفهام ، وعليك بما أفاده كلام ذلك الهام والله تعالى أعلم *

﴿ وما ذكره من باب الإشارة في بعض الآيات ﴾ (والطور) إشارة إلى قلب الانسان (وكتاب مسطور) إشارة إلى سره (في رق منشور) إشارة إلى قلبه (والبيت المعمور) إشارة إلى روحه (والسقف المرفوع) إشارة إلى صفته (والبحر المسجور) إشارة إلى نفسه المسجورة بنيران الشهوة والغضب والكبر ، وقيل : - الطور - إشارة إلى مطار من الارواح من عالم القدس والملاكوت حتى وقع في شباك عالم الملك - والكتاب المسطور في الرق المنشور - إشارة إلى النقوش الإلهية المدركة بأبصار البصائر القدسية المكتوبة في صحائف الآفاق (والبيت المعمور) إشارة إلى قلب المؤمن المعمور بالمعرفة والاخلاص (والسقف المرفوع) إشارة إلى العالم العلوى المرفوع عن أرض الطبيعة (والبحر المسجور) إشارة إلى بحر القدرة المملوء من أنواع المقدورات التي لا تنتهى ، وقيل : إشارة إلى الفضاء الذى فيه الملائكة المهيمون ، ووصفه - بالمسجور - إما لأنه مملوء منهم ، وإما لأنه سجر بنيران الهيام ولذا لا يعلم أحدهم بسوى الله عز وجل ، وقيل : غير ذلك (فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون) أى يخوضون في غمرات البحر اللجى الدنيوى ويلعبون فيها بزبدها الباطل ومتاعها القليل ويكذبون المستخلصين عن الاكدار المتحايين بالانوار إذ أنذروهم أن المتقين هم أضداد أولئك (فاكهين بما آتاهم ربهم) مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) وهو عذاب الحجاب (كلوا) من ثمرات المعارف المختصة باللطيفة النفسية (واشربوا) من مياه العيون المختصة باللطيفة القلبية (وسبح بحمد ربك حين تقوم) أى مقام العبودية (ومن الليل فسبحه) أى عند نزول السكينة عليك (وإدبار النجوم) أى عند ظهور نور شمس الوجه ، وتسيحه سبحانه عند ذلك بالاحتراز عن إثبات وجود غير وجوده تعالى الحق فان إثبات ذلك شرك مطلق في ذلك المقام أعادنا الله تعالى وإياكم من الشرك بجرمة الحبيب عليه الصلاة والسلام